2021

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفريغ وتصميم

أبو الحسن الحناوى

مقدمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسـول الله وآله وصحـبه ومن والاه ،،

وبعد .. إخوتي وأخواتي في الله

نحن على موعد في هذا اللقاءِ المُمتع مع درسٍ من الدروس الإيمانية للعالم الرباني الشيخ/ فريد الأنصارى رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، حيث الموضوع يتناول غربة المؤمن في هذه الدنيا.

وبَيّنَ رحمة الله عليه ، أنه ليس كلَّ فردٍ من المسلمين والمؤمنين يشعرُ بهذه الغربة في حياته الدنيا ، وذلك لتفاوت وتباين درجة المعرفة لدى كل واحدٍ منهم ، كذلك أوضح أن المؤمن نفسه يتقلب بين حالة انشراح الصدر والأنس بالله وبين حالة الإنقباض وضيق النفس وهذه الحالات ناشئة عن قوة الإيمان أحياناً أوضعفه لديه.

ووجدتُ أنه من الضرورى تقسيم الدرس الى مقاطعٍ ، وعنونة كلَّ مقطع

وأضفت أمثلة توضيحية ، كذلك شفعت ببعض الصور المناسبة ، كلُّ ذلك تسهيلا على القارئ ، وتوضيحاً لفكرة الموضوع لتتم الإستفادة بدرجة أكبر.

أسأل الله عزوجل أن أكون وُفقت لإيصال الهدف المنشود وعلى خير وجه ، وإن أحسنت فمن الله عزوجل وإن أخطأت فمن نفسي.

وفضلاً ، إن حاز الموضوع إعجابك .. يمكنك العمل على نشره ولك أجر نشر العلم وثوابه العظيم من الله.

اخوكم / ابوالحسن الحناوى

يقول شيخنا رحمه الله تعالى وجزاه عنا خير الجزاء:

المقصود بالغربة .. غربةُ المؤمن ، ووحشتُه بالدنيا..

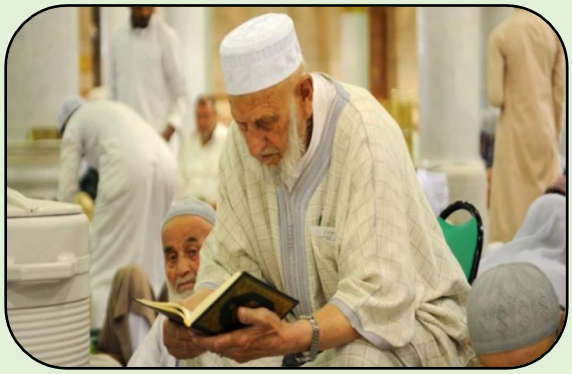

بحيث يتقدم السالكُ في طريقِ المعرفة [1] ويكتشف بالحقائق القرآن ، ما يملأُ قلبه حقاً وصدقاً بالإيمان ..

- فيتعلقُ قلبُه يومئذٍ بالله أُنساً
- وبالمسجد مجلساً

فآنئذ يجدُ وحشتَه بالدنيا ويجد أنسَه بالله ولا يكون له أنسٌ الا بالله.

- ✓ كلمَّا غفلَ الإنسان عن ذكر اللهِ ضاق قلبُه ، واشتد غمه.
- ✓ وكلما تذكّرَ إتّسع صدره ، وانشرح سِرُّه.

فكان له من الأنوار ما يدركُ به خطوات الطريق الى الله عزوجل ، إدراك السائر على المحجَّة البيْضاء حقاً في وقتِ الأيام البيض حيث القمرُ قد اكتملت أنوارُه ، وهالتُه ، فصار الليلُ كالنهارِ من حيث الجمال والسناءُ ووضوح الرؤية للسائر ومن حيث الأنس قبل ذلك وبعده.

[1] المعرفة بالله والعلم الشرعي وأحكامه الفقهية

الغيبة

أمثلة توضيحية لما قاله الشيخ:

❖ المثال الأول لغُربة المؤمن :

إذا تقدم السالك على طريق الله عزوجل وعَلِم من العلوم الشرعية قدراً لا بأسَ به ، فإنَّه يستغرب أفعالا وأموراً يقوم بها الكثيرٌ من الخلق دون مبالاة ولاخوف من عقاب الله ، ولا يجدون غضاضةً فيما يفعلون ..

- كمن يَعُقُّ والديه ويؤذيهم جسدياً أومعنوياً.
- ومن يشهدُ ظلماً وزراً إمَّا تعصباً أو طمعاً في لُعاعةٍ من لُعاعات الدنيا الفانية ، مالاً أو منصباً أو وجاهة وغير ذلك.
- وبعض الناس لا تكفُّ ألسنَتُهم عن ذِكر الآخرين بالسوء كذباً وبهتاناً ويتفكهون ويتسامرون بذكر أعراض الناس وعوراتهم.
- وآخرون يفنون أعمارهم ويبددون أوقاتهم في جمع المال من حلّه وحرامه على حساب صحته واسرته وعبادته.
- ومنهم من يُمارس الرذيلة ويفاخر بذلك ، ومنهم من يتفوه بالفاحش والبذيئ من القول.

- وكثير من الناس يستحلون أكل أموال اليتامي والجور في توزيع المواريث وقطيعة الأرحام.
- وإذا رأى المؤمن أن أغلب أفراد المجتمع حوله حاد عن طريق الله فانتشر العُرى ، وازدرى الناسُ دينَ الله ، فلم يعدْ الحُكمُ بما أنزل الله ولكن للأحكام الوضعية ، ونالت ألسنةٌ عفنةٌ من الدين ، وأصبح الساقطون والسفلة والرعاع هم القدوة للشباب ، وصارت القيادة بيد لكع بن لكع ، ونطق الرويبضة في أمر العامة ورضي الناسُ بالقهر والظلم والإستعباد ، جبناً منهم وخنوعاً واستسلاماً،

"وكل ذلك طمعاً منهم في حطام الدنيا الزائل الفاني"

فحينئذٍ المؤمن ـ الذى عرف الله ونالَ شيئاً من نور المعرفة ـ يجد نفسه غريباً في هذا المجتمع ، ويشعر بالغربة في دنيا الناس هذه.

قال سيدنا إبراهيم لقومه لما أحسَّ بغربته بينهم : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ مريم ٤٨

❖ المثال الثاني لإنشراح صدر المؤمن:

وكذلك المؤمن اذا وجد أنه فقد شيئاً ما ، أو فاته أمرٌ كان يريده ، أو حُبس عنه شيئٌ عاني واجتهد في العمل على تحقيقه وطال له انتظاره .. فيدُبّ في صدره بوادر الضيق والشعور بتعاظُم الضجر في نفسه ، لكنَّه حين يتذكّرُ حكمة الله عزوجل ومشيئته ، وأسمائه الحسني وصفاته وتصريفه لأمور الكون والخلائق ، تلك الذكرى تقودُ قلبَه الى انوار الله عزوجل ، فيطمئن لأقدار الله وعدله وحكمته ، ويتذكر أنها كلها له خير، ويعلم أن ما فاته لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن نعم

الدنيا والمُتع فيها كلها لا تساوى شيئ ، لكن الآخرة هي المُعَوّلُ عليها وفيها السعادة الحقيقية .. فيتنقل بتلك الذكرى الى حال الأنس بالله ، فينشرح صدره وتنفرج اساريره ويطمئن قلبه ، فالذكرى تنفع المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذاريات ٥٥

انشراح الصدر

يقول الشيخ: وأصلُ هذه المنزلة عددٌ كثيرٌ من آيات القرآن الكريم ، وعددٌ لا بأس به أيضاً من الأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على هذا المعني لفظاً وحكماً.

فأما لفظ "الغربة" فقد أُخذَ من صحيح كَلِمِ النبي عليه الصلاة والسلام في وصيته لإبن عمر رضى الله عنهما :" كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل" ، كذلك للحديث الآخر: " بدأ الإسلامُ غريبا وسيعود غريباً كما بدأ فطوبي للغرباء قيل يا رسول الله : ومن الغرباء ؟

قال:

> الذين يَصْلِحون أو يُصْلِحون إذا فسد الناس

الدنيا نعمة للمؤمن وحرث لآخرته

ولا ينبغي أن نفهم من هذه الغربة ، أن الانسان المؤمن يستقذر الدنيا ، كما هو الشأن في دعاوى النصارى ، واستقذارالدنيا .. اعتبارها خبثاً ونجاسة وهذا لا ينبغي ، لا يبنغي للمؤمن أن يعتقد هذا ،

بل الله سبحانه وتعالى جـعل الدنيا
نعمة للمؤمن وحقلا يحرثه لآخرته.

ولذلك قال ﷺ في الحديث الشريف:

نعم المالُ الصالحُ للعبدِ الصالحِ

فليس هذا هو المطلوب وليس هذا هو المقصود ..

- انما المقصود بالاغتراب أو الغربة أنَّ المؤمن إذا رأى وشاهد حقائق القرآن فإن رؤيَتَه لها ولأنوراها تجعله يستهينُ بكلِ ما دونها.

هو صحيحٌ أنه يَعتبر أن النَّعم التى أنعم الله عليه بها في الدنيا خيراً كبيراً وفضلاً عظيماً ، ولكنه حين يقرُنها ويقيسُها بما رأى من حقائق القرآن ، يجدُها لا شيئ ولا تساوى جناح بعوضة.

أثر الغفلة والبعد عن طريق الله

ولذلك فإنَّه حينما يَغفُل المسلم عن ذكر الله ويفتُر عن السير في طريق الله ، فإن قلبه يضيق ، لأنه يدرك أنه قد أقفل على نفسه في قفصٍ من حديد وعادة القفص الحديدى يصيبه الصدأ والعفن ، ويشتاق لإستنشاق لهواء الطلق المُريح في طريقه ، طريق السلام والصلاح والإيمان والإسلام.

التوبة واشارات الرضا من الله

ولذلك المؤمن الذى ادرك هذا المعني فإنه إذا أخطأ وزلت به قدمه ، فإنه بتلك الزلة يقلق أى يفقد النوم ولا يستطيع أن يجد لذةً ولا راحةً ، في نومٍ ولا يقظة ، حتي يجد في قلبه من توبته اشارات الرضا ، من الله عزوجل وأمارات الصلاح على نفسه ، والإستقامة والعود الى سلامة المدار والفلك الذى يدور به في سيره الى الله عزوجل.

الدنيا كالشجرة .. ظلّها زائل

كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يُذكّرُ اصحابه بهذه المعاني ، باللفظ أو بالمعنى.

كما في قوله المشهور والصحيح .. عن عبدِاللَّه بنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه قَالَ: نَامَ رسولُ اللَّه ﷺ عَلَى حَصيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله ، لوِ اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً ، فقال: " مَا لي وَللدُّنْيَا ؟ مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" الترمذي ـ حسنٌ صحيحٌ.

والغالب على الراكب أن يكونَ مسافراً ، والشجرة هى الدنيا ، وظلها زائل فانٍ ، تمسحه الشمس بعد قليل ، كذلك نِعمُها .. هي أيضاً ظلٌ ، نِعَمِ الدنيا كلُّها ظل زائل غير دائمة ، كل شيئٍ مما شئت أن تتخيل كثرةً ووفرةً وامتداداً فكله هو أشبه بما يكون كتلك الشجرة وبظل تلك الشجرة.

لا تجعل مُتَعَ الدنيا هدفاً وغاية

وقد قال الله عزوجل في القرآن العظيم : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ الكهف

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ أى :

" احذر أن تلتفت الى مُتعِ الدنيا فتجعلها هدفاً ، وغاية نِهائيةً "

فتكونَ كذلك الغافلُ الذى غفل عن حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة وتُصابُ آنئذٍ بضيق الأفق وانسداد البصر.

وكل من يرى من الكون (الدنيا فقط) فهو أعمى.

ولذلك كلُّ كافرٍ أعمى ولا يوجد من الكفّار بصيرٌ أصلاً لقوله تعالى:
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَـٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج ٤٦

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ البقرة ١٨

ولذلك يصاب المؤمن بالعُشوّ .. (أعشى: أى ضعيف البصر).

حينما يضعفُ إيمانُ المؤمن ، فهو لا يفقده البتّة ، لكن يبقي له شيئٌ من الإدراك ، ليس مثل الكافر ولكن المؤمن بالله بين عُشوّ وإبصار ، فإذا ضعف إيمانه ، ضعف إمتداد بصره ، فرأى حقائق القرآن رؤيةً يُظللها الغبش ، ويحُدّها شيئٌ من الدخن.

بينما إذا استنار قلبه أبصر حقائق القرآن واضحةً ناصعةً نيّرة ، فكان من المبصرين.

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾

وإنما يشعر بالغربة من كان من المبصرين

كيف يشعر المؤمن بالغربة ؟؟ اقول :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله .. وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

والمثل يقول :

ما في الهَمِّ غيرما له عقل ، أما الذى ليس له عقل مرتاح

راحة الأعمي ليست براحة حقيقية

فكذلك الذى لا يُبصر حقائق الأمور كلها .. يعيش في راحة ولكنها راحة الأعمى المُحاط بالخطر الجسيم ولكنه لايدرك ، فهي راحة المغفّل وليست براحة حقيقية.

راحة المؤمن في إتصاله بالله

بينما حين يُبصرُ الحقائق كما هي فإنه يشعر بالهمّ والغمّ كلمّا نظر الى الدنيا ، كلمّا نظر اليها والى حقائقها الزائلة الفانية ، ولا يجد راحته يومئذٍ الا اذا شعُر بنوعٍ من الطمأنينة والسكينة إذا استمد من نور الله انواراً فيفزع ويفرُّ الى الله عزوجل بين الحين والحين ، مُصلياً أو ذاكراً أو تالياً مرتلاً أو مستمعاً أو بأى طريقة من طُرقِ الإتصال بالله عزوجل.

- يفرُ من غربته ووحشته ، ليستأنس بكلام الله عزوجل ، وبذكره سبحانه وتعالى.

وهذا المعني يُورثُ القلب القناعة وعدم الحرص ،

- يقنعُ بما رزقه اللهُ تعالى من الدنيا ولا يحرص على ما لم يكتبه الله له ، ولا يتحسّر.

قال تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر ٤٩

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ الرعد ٨

والحمد لله الذى أعانني على تفريغ وانهاء هذا الملف ، وأسأل الله الجوّاد الكريم أن يتقبل منّي هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم دون رياءٍ أو سمعة ، وأحتسبه صدقة جارية عنده ، لى ولوالدىَّ ولكل من له حقٌ علىَّ ، وأدعو الله العظيم الرحيم أن يغفرَ لشيخي/ فريد الأنصارى وأن يكرم مثواه ويدخله الجنة مع الابرار وفي صحبة الصالحين من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اؤلئك رفيقا .. اللهم آمين.

اللهم منَّا الدعاء وعليك الإجابة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

أخوكم العبد الفقير الى الله /

أبوالحسن بن سعد الحناوى

فيينا في 14 من مارس 2021